نازك الملائكة

# مرايا الشمس

**« أهديت اليّ خريطة فلسطين في اطار .»**

نامي على أهداب عيني يا خريطتها ، ورفي في دمائي
اني نذرت ، لكي اكسّر قيدها ، زمني ، نزيف دمي ، غنائي
آفاقها سأخطها بالورد ،
أغرس عند « بيت المقدس » الدامي قرنفلة كبيرة
واحيلها في عرض بحر من زهور الماء والدفلي جزيرة
وأشك عند حدود « عكا » زنبقه
حرّى الغلالة مفدقه
و « اللد » انفحها برفة وردة جورية
و « جنين » اعطيها شقائق غضة ، شقيه
و« لغزّة » اختار سوسنة معطّرة نضيرة
و« لكفر قاسم » الف ليلكة ابعثرها واجدلها ضفيرة
وعلى مشارف ارض « بيسان » سأزرع ياسمينه
وبنفسجات عند « حيفا » عند « يافا » عند « نابلس » الطعينة
ولدى مدينة « طولكرم » نرجسه
أصحي بها ذكرى اضاح كالمرايا مشمسه
اهداب عيني ، يا خريطتها ، هنا ، نامي عليها
انني ما بين بيارأتها الثكلى سجينة
أمطرتها وردا ، وعاشت خلف أسوار انفعالاتي
مدائنها الجميلات الحزينه
حتى زرعت فؤادي الخابي الشموع على خريطتها مدينه

* * *

لا ، لا ،
دعي الازهار يا كفي ! خريطتها سانقطها بدمعي
سأخط بالعبرات كل حدود « ناصرتي ، وبالشهقات ابني « بئر سبعي »
سأحيط أسوار « الجليل » بخضرة ريانة
تنشال من المي ورفضي
وسامنح« اللطرون » عصف رياح احزاني ، اسيجها بنبضي
والطفلة السمراء « رام الله » ارقدها على مهد ،
يرطب حرّه ثلج الدموع
والحزن حول غطائه الوردي اشرعة ، مواويل، شموع
وسأزرع القلب الكئيب شجيرة ، قمرا يضوي‌ء كل ارض
فمن الشمال الى الجنوب قرى مفمسة بدمعي
وورود احزاني تعشش في مدائنها
يقطر كل زاوية وضلع
وبأدمعي حددت ارصفة الشوارع في «الخليل »
ورشفت من حزني جرارا من عبير وارتويت من العويل

* * *

لا ، لا ، برئت من الحدود الدامعه
وجزعت ان ترنو الي خريطتي من هذه المدن الحزاني
اني سأشعل في رباها ثورة ، غضبا ، دخانا
ولدى القرى السود العيون الضارعه
سأقيم من وهج القنابل مهرجانا
ويضوع عطر الموت ،يسكر من تموجه عدانا
لا وردي البض الملون سوف يشفي وخزة الذكرى
ولا عبراتي الحرى الغزار
لا بل اسور بالخناجر والمدى تلك الديار
وأنيمها في غابة مسنونة الاشجار
تجرح بالسكاكين الحداد اللاسعه
بالعنف تنتزع المروج الضائعة

سأطير ، أغرس خنجرا في باب « عكا »
واقيم حول « القدس » ارصفة الصواعق ،
ازرع الاسوار شوكا
وأدك « تل ابيب » دكا
سأخيط « غزة » بالقذائف
سوف أبذر حول « يافا » حقل الغام ونار
في الليل اشعله حرائق جلنار
وسأفرش المدن الوديعة بالصواريخ المحبة والمدافع
ـ الله اكبر يا عرائش !
يا قناطر ؟
يا شوارع
اني سأبذر فيك اسلحتي ، وانتظر الحصاد
وسأوقظ الربوات فيك على براكين التحدي والعناد
قسما ! وارفض ان ابلل اغنياتي بالمدامع .

* * *

ووضعت بين يدي خارطتي ،
رأيت ربي مدائنها خواء
مخذولة الطرقات ، يذرع صمتها اللاشيء ،
يسكنها الهواء
ليلاتها عدم ، ظهيرتها ذبول
يمتصني ، يقصي خطاي ودون بياراتها الظمأى يحول
ويحيل خارطتي نثارا من طلول
احجارها لا نبض فيها ، لا عروق ، ولا دماء
حتى لهيبي يستحيل الى انطفاء
وحرثت صخرا ، لم اجد في الصخر زنبقة انتصاري
وجبين فجري ضاع مني .
والضباب دنا واسدل سترة ، غطى نهاري
ومضغت اشواك اندحاري
ساحاتها دوني ملفعة ، يعز الى مشارفها الوصول
كيف الوصول ؟
والليل يفصلنا ، وتجرفنا السيول
تتساقط الاحلام ميتة وتنكسر الحلول
وتخونني الايام ،
تسقط من خلال اصابعي حتى الفصول
وشعرت اني قد بعدت ، بعدت ، واحتجب اللقاء
يبست عناقيد الرجاء
وتمددت بيني وبين تلالها مدن البكاء .

وعرفت سر البعد ، سر التيه ،
اني قد نسيت
ان انقش اسم الله فوق صخورها
وحرمتها من ضوئه
من دفئه ،
عذرا لعطر ترابها ، ووروده ، ونهورها
افرغتها من سر قوتها ، رضيت
لربوعها الفقر الحزين ، منحتها الجدب المميت

كلا ، سأرجع للخريطة ،
انثر القرآن اجنحة على كل المزارع
آياته اسقي بها عطش الشوارع
حتى ارى اسم الله محفورا على شجراتها
مستودعا في قلب تعريشاتها
متألقا في ذبذبات حنين اغنياتها
حتى ارى اسم الله انداء وخضرة
وشذى ووفرة
في كل بياراتها

* * *

اني سأكسر قيد خارطتي باسلحتي جميعا :
وردي ، ودمعي ، والسكاكين الحداد ، وذكر ربي
ستشق لي ومضاتها دربا سريعا
حتى اراني في فلسطيني : نجوم ملء دربي
وشموع ميلاد ، وصحو ، خلف هدبي
امشي ، احرر باسم ربي ، بالسلاح
بالورد ، بالدمع المضيء ، مدائن الدم والجراح
حتى تتاح لنا ، لها ، لشتات اهليها معانقة الصباح
وتعود خارطتي الحبيبة ملك قلبي
تحب هدبي
لا يجوب سفوحها غيري انا
غير الاغاني ، والعروبة ، والرياح
واحس خارطتي ترفرف كوكبا
في لا نهايات المدى النائي
وينبت لي جناح